مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

*Dirassat & Abhath*
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences

*ISSN: 1112-9751*

عنوان المقال:

# إشكاليــة التطرف الدينــي و الهويــة الثقافيــة للمجتمع

**د. عواطف عطيل لموالدي** ، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

# إشكاليــة التطرف الدينــي و الهويــة الثقافيــة للمجتمع

د.عواطف عطيل لموالدي

**الملخص:**

تتعدد وتتباين الهويات تباعا لتعدد و تباين الثقافات المحددة لها, فهي التي تمنحها تلك الخصوصية والتمايز من جماعة اجتماعيــة إلى أخرى, ومن مجتمع إلى آخر, و هي كيان يتغير باستمرار, و يتأثر بالهويات الثقافية الأخرى, إذ يمثل الــدين(العقيــدة والأخــلاق) أقــوى عناصرها,غير أن تنامي الحركات الدينية المتطرفة خلال العقود الأخيرة, و المتبنية لتصورات نكوصية عن الهوية, قد أفضى إلى بروز ظــواهر الاغتراب و الشذوذ ,الصراع القيمي و المفاهمي, تكفير الآخر المترتب عن الطائفية وغيرها.., وسط البيئة الاجتماعيــة الواحــدة والــوطن الواحد, ما يشكل خطرا كبيرا على الهوية الثقافية للمجتمع, و بناءا على ما تقدم أردنا مقاربة موضوع الهوية الثقافية للمجتمــع في علاقــة تصادمها و التطرف الديني, وذلك من خلال الإشكالية التالية والمتضمنة للتساؤلات الآتية : 1- الهوية الثقافية ما هي؟ 2-التطرف الديني و المفاهيم ذات الصلة, 3-التطرف الديني والهوية الثقافية ما العلاقة؟ 4 – التطرف الديني وخطره على الهوية الثقافية للمجتمع فيما يتجلــى؟ 5- كيف نحافظ على هويتنا الثقافية في مواجهة الفكر المتطرف؟

الكلمات المفتاحية: التطرف الديني, الهوية الثقافية, الثقافة الفرعية, الانعزال, الاغتراب, الإرهاب.

## Abstract:

The differential and variety of identities depends on cultures ; which gives them properties and distinction from one social group to another and from one society to another. It is, in fact, a substance that changes constantly and gets affected by other cultural identities. Religious (creed and ethics) is of its greatest elements. The grouth of Extremist religious movements, adopting regressive conceptions on the identity, in the last decades ; however, has let in the appearence of phenomena such as alienation, abnormality, valuable and conceptual conflict, and pushing people into polytheism ; which is resulted from sects, … and so on. All this happens in the same hometown and thus brings about big dangers as to the cultural identity of society. According to what we mentioned previously, we want to approach the topic of cultural identity of society and its conflict with the religious extremism, and that through the following problematic:

-1What is the cultural identity?

-2The religious extremism and the conceptions are related to what?

-3What is the relationship between religious extremism and cultural identity?

-4What are the dangers caused by the religious extremism on the cultural identity?

5-How to maintain our cultural identity in facing the extremism thought ?

**Key words**: : Religious extremism, Cultural identity, Subculture, Isolation Alienation, Terrorirsm.

**مقدمة:**

تمثل الثقافة مختلف المنتجات الفكرية و المادية, التي تختص بها الكائنات البشرية دون الحيوانية. إذ تتسم بكونها أسلوب الإنسان الذي ينتهجه لإشباع حاجاته المتعددة منها العاطفية, الجنسية, التربوية, الاقتصادية ..الخ, و المواءمة بين هذه الحاجات و متغيرات البيئة الطبيعية, فالثقافة إذن و بهذا المعنى, تشمل مختلف الوسائل والطرائق, التي يبدعها العقل البشري لسد حاجات الإنسان, و هو ما يصنع الفرق بينه والحيوان, الذي يعتمد على مجرد الغريزة في إشباع حاجاته, فالإنسان بعقله, و قدرته على التعلم, يستطيع أن يورث ثقافته التي اكتسبها عن الجيل السابق ضمن بيئته الاجتماعية, إلى الجيل اللاحق, و بذلك فإن الثقافة تمثل تراكمات لمحصلة إنتاج الإنسانية, أو لنقل أنها تراث الإنسان المنقول عبر سيرورته التاريخية, و عليه فإنها تمتاز كذلك بالاستمرارية, التي تقترن هي الأخرى بخاصية التوافق, ذلك أن الثقافة تتغير من حيث الشكل والمحتوى, تباعا وتغير ظروف الحياة الاجتماعية, و هو ما يحتم التخلي عن بعض الأشكال التقليدية, التي كانت تستخدم في تحقيق الإشباع المطلوب, و إبدالها بما يتناسب و التغيرات المستحدثة على المجتمع.

هذا, و نشير إلى انه و زيادة على ما تختص به الثقافة, من حيث كونها منتجا اجتماعيا بامتياز, تشترك في إنتاجه كل الجماعات الاجتماعية, والمجتمعات مهما تعددت و اختلفت, فإن للعوامل الجيو تاريخية والنفس اجتماعية, دورا هاما في تكوين نماذج ثقافية لامتجانسة بين المجتمعات, فيكون لكل إقليم أومنطقة جغرافية معينة, خصائصها الثقافية **Specialities** التي تميزها عن غيرها. و بالتالي فإن لكل مجتمع إنساني خواصه الثقافية أو نموذجه الثقافي, الذي يشكل هويته الثقافية. فالمجتمعات الإفريقية منتجة للثقافة تماما كالمجتمعات الأمريكية والآسيوية, لكن الفرق بينها يكمن في نماذج الحياة فيها, و تحديدا في ممارساتها الثقافية, و حتى أن المجتمعات الإفريقية نفسها, تتباين من حيث ثقافاتها, و قس على ذلك بالنسبة للمجتمعات الأمريكية و الآسيوية و غيرها, ومن ثم فإن الهويات الثقافية للمجتمعات الإنسانية ليست بالمتماثلة, فاختلاف الثقافات هو اختلاف في الهويات.

و عليه نجد أن الثقافة و الهوية وجهان لعملة واحدة, و لا تنفك إحداهما عن الأخرى, فالهوية لا يمكن تحديدها خارج نطاق الثقافة, و أن الأخيرة لا يمكن التعرف عليها دون هوية تميزها, و بذلك برز على السطح المعرفي مفهوم الهوية الثقافية, لاقتران الهوية بالثقافة, و ملازمتها لها. و نضيف ضمن هذا السياق انه من الممكن أن تجد ثقافات أخرى تتعايش داخل الثقافة الأم أو المهيمنة في المجتمع, و هي كيانات متميزة عنها, ولكنها لا تتعارض والثقافة الكلية للمجتمع, من حيث الأنساق الثقافية الكبرى, إذ "تستعير منها رموزها وقيمها ومعتقداتها, غير أنها كثيرا ما تعرضها للتشويه, أو المبالغة, أو قد تقلبها رأسا على عقب"(1), و يعرف هذا النوع بالثقافات الفرعية **Subculture** و عادة تكون الثقافة المهيمنة أو الكلية و الثقافات الفرعية متنافسة فيما بينها, كما هو حال الحركات الإصلاحية أو الثورية التي يقودها الشباب عبر العالم. أما في حالة تعارض هذه الثقافات الفرعية, والثقافة الكلية للمجتمع الذي تعيش في ظله, فترفض أكثر قيمها ومعاييرها أهمية, فإن هذا النوع يعرف بالثقافات المضادة **Counterculture** , و هو النوع الذي يتعارض والأنساق الثقافية الكبرى للمجتمع, لأن الثقافة المضادة تبحث عن ثقافة بديلة, مغايرة للثقافة الأم, و بالتالي فهي تبحث عن هوية أخرى, و هنا يقع التصادم بين الثقافتين, مما يؤدي إلى أزمة هوية حقيقية, تكون الوحدة الوطنية أولى ضحاياها, لما ينجر عن هذا التصادم من تمزيق للنسيج العلائقي, و تفكك اجتماعي, بين مختلف الفئات الاجتماعية و العمرية, و حتى التشكيك في قيم الانتماء و المواطنة.

و في خضم المشكلات الشائكة و المعقدة التي تئن تحت وطأتها, المجتمعات الحديثة, فإن أزمة الهوية و ما طرأ عليها من تحولات, نتيجة عوامل التغير الاجتماعي, و على رأسها العامل التكنولوجي, و ما تمخض عنه من ثورات معلوماتية و اتصالية في ظل العولمة, و انفتاح العالم, قد أخذت تتنامى بشكل ملفت, خاصة مع بروز الحركات الاجتماعية, التي انقسمت إلى اتجاهين رئيسيين, حركات تدعو إلى الحداثة والتغيير, و على النقيض منها ظهرت أخرى, تنادي بالرجوع إلى الأصل و هو الدين, فعرفت بالحركات الدينية الأصولية, و منها من تجاوزت حد الاعتدال في ما تدعو إليه, فتطرفت و جرفت مجتمعاتها إلى الهاوية, وتركت شبابها يتخبط في حلقة مفرغة, عنوانها "البحث عن الهوية".

إن الجماعات الدينية المتطرفة, تمثل ثقافة فرعية داخل الثقافة الكلية للمجتمع, و هي تسعى إلى صقل الهوية الثقافية لأفراده, بما يحقق أغراضها الاجتماعية و السياسية, باستخدام الدين, و توظيفه كمبرر لشرعية تواجدها في المجتمع, كونها حركة إصلاحية, جاءت لتحارب الفساد فيه, و في الوقت نفسه, فهي تستخدم الدين لتجد القبول الاجتماعي, بل و حضوتها الاجتماعية. فالدين باعتباره المنبع الأول إن لم نقل الوحيد للثقافة قديما, لا زال إلى يومنا هذا, مصدرا للقوانين و السياسة و الاقتصاد و التربية, و أن كل أشكال العلاقات و المعاملات إنما تتحدد بموجب تعاليمه و قيمه. و بذلك يعد الدين المحدد الرئيسي للهوية إلى جانب الثقافة و اللغة.

و حالما يوظف الدين من طرف هؤلاء, لإطلاق فتاوى مغرضة و مغلوطة, الهدف منها إحداث العداء والفرقة, بين أبناء الوطن الواحد, إلى جانب تعبئتهم على التمرد و العنف بشتى صنوفه, فإن هذا سوف يسئ إلى الدين و يشوه تعاليمه, و مبادئه السمحة, و بالتالي فإن ذلك سوف ينعكس على الهوية الثقافية للمجتمع, التي يفترض أن يكون التضامن و التماسك الاجتماعي, أهم مقوماتها.

و عليه فإن مسالة الثقافات الفرعية, أخذت تطرح بقوة على المستوى العلمي-الأكاديمي, على اعتبار أنها احد أهم العوامل المفضية إلى أزمة الهوية الثقافية, لاسيما مطلع الألفينية, و إننا في هذه الورقة, إنما نحاول تناول موضوع الهوية الثقافية, في علاقته و التطرف الديني, و عرض صراع الفكر المتطرف داخل الثقافة الكلية للمجتمع, و آثار كل ذلك, على الهوية الثقافية للمجتمع, و من ثم سوف نحاول بحث الأساليب المناسبة لمواجهة التطرف الديني, في مقابل إنقاذ هويتنا الثقافية من خطره, و حمايتها و المحافظة عليها. وسوف نتدرج في تناول الموضوع, من خلال الإجابة على التساؤلات التالية. و البداية ستكون حول مفهوم الهوية الثقافية.

## 1- الهوية الثقافية ما هي؟

بدأ الاهتمام بالهوية, فترة الخمسينات من القرن العشرين, و في الستينات منه, أصبحت انشغالا علميا, في حقل العلوم الاجتماعية, و التحليل الاجتماعي في فرنسا, و منه انتقلت إلى الخطاب العمومي, وبعد أكثر من نصف قرن من التداول, في الحقول المعرفية (الفلسفة, علم النفس, علم الاجتماع, الانثروبولوجيا), لا زال مفهوم الهوية, يكتنفه الغموض و التباين, حيث لم يشكل موضوع إجماع علمي, في تعريفه وغاياته(2).

فاستخدمت مفردة "هوية", لتكون نقطة وصل تشير إلى ظواهر اجتماعية, مثل الصراعات الاثنية (التي توصف بالصراعات على الهوية), المراكز و الأدوار الاجتماعية (الهوية الذكورية, الهوية و العمل), ثقافة المجموعة (الهويات القومية أو الدينية), أو للإشارة إلى مرض عقلي (اضطرابات الهوية), أو للتعبير أخيرا عن الهوية الشخصية (البحث عن الذات, الأنا) (3).

من الناحية اللغوية, تشير مفردة "هوية" إلى جوهر الشيء و حقيقته, و هي مشتقة من "هو..هو"(4), وهذا التعريف اللغوي نجده يتفق و التعريف الفلسفي للهوية, إذ تعرف بأنها: " ذات الكائن من جهة, ما هو هو, أومن جهة ما هو ذاته رغم التغير, أو من جهة ما ينفرد به في الوجود, فيتميز من غيره, و بهذا المدلول الأخير, يقترب معنى الهوية, من معنى الماهية"(5). و من ثم فإن الهوية تمثل ماهية المجتمع, أو تعريفه, أوما يعرف ويتصف به, عبر سيرورته التاريخية, و رغم ما يجتاحها من تغيير فإنها تحافظ على ما هو أصيل و ثابت فيها, فالثوابت في كل مجتمع, هي من تمثل هويته. أما علماء الاجتماع, فإن جل تعريفاتهم للهوية, تركز على الانتماء الاجتماعي للأفراد, و ما يميزهم من خصائص ثقافية, عن جماعات أو مجتمعات أخرى, نذكر منها:

الهوية هي" جملة علامات و خصائص من أجناس مختلفة, تستقل بها الذات عن الآخر, فبغياب هذه العلامات و الخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر, و بحضورها تحضر"(6).

و تعرف كذلك بأنها "جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية و الثقافية, فهي إحساس بالانتماء, و التعلق بمجموعة, و عليه فالقدرة على إثبات الهوية, مرتبطة بالوضعية التي تحتلها الجماعة, في المنظومة الاجتماعية, و نسق العلاقات فيها"(7).

كما تعرف أيضا بأنها" ذات الإنسان, و تتضمن المعايير و القيم, و تشكيل معرفة الإنسان و ثقافته, بالمجالات المختلفة, و وعيه بقضايا المجتمع, و هي تمثل التراث الفكري"(8). وتجمع الهوية عادة بين ثلاثة عناصر أساسية, تتمثل في الدين (العقيدة) و هو يمثل أقوى عناصرها, تليه اللغة, و التراث الثقافي. فيما تتمثل أهم وظائف الهوية في كل المجتمعات الإنسانية, في النقاط الرئيسية التالية: (9)

- ضمان الاستمرارية التاريخية للمجتمع, إذ لا يمكن التشكيك في انتماءاته.
- تحقيق درجة عالية من التجانس و الانسجام بين الأفراد (المواطنين) في مختلف جهات الوطن الواحد.
- تمثل الهوية الجنسية و الشخصية الوطنية, التي تحافظ على صورة المجتمع, أمام المجتمعات الأخرى, و ذلك من خلال الحفاظ على الكيان المميز لذلك المجتمع.

و غالبا ما يقترن مصطلح الهوية, بمحددات أخرى, كالمجتمع/ الجماعة و الثقافة, و كثيرا ما تتداول مفاهيم الهوية الاجتماعية, و الهوية الثقافية..., لتضفي تحديدا أو تخصيصا, لأحد الجوانب التي تتصل بالهوية. غير أننا نجد تداخلا كبيرا بين كل هذه المفاهيم, ذلك أن علاقة المجتمع بالثقافة هي علاقة المنتج بالمنتج, و أن الهوية تتحدد ملامحها من خلال هذه العلاقة, فلا مجتمع دون ثقافة, و لا ثقافة من دون مجتمع, و لا هوية في غياب احدهما أو كليهما.

إذ تمثل الهوية الاجتماعية, محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة, بين الفرد ومحيطه الاجتماعي القريب والبعيد, و الهوية الاجتماعية للفرد, تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية, كانتماءه إلى فئة عمرية, جنسية, مهنية..., و هي تتيح للفرد التعرف على نفسه, داخل منظومته الاجتماعية, و تمكن المجتمع من التعرف عليه, غير أن الهوية الاجتماعية لا ترتبط بالأفراد فحسب, فكل جماعة اجتماعية تختص بهوية, تمثل تعريفها الاجتماعي, و هو تعريف يسمح بتحديد موقعها في المجموع الاجتماعي, فالهوية لا تعني فقط مجرد إعلان الانتماء القومي, الاثني, الجماعوي..., بل تعني كذلك تأكيد الموقع داخل المجتمع.

كما تعد الهوية الاجتماعية, احتواء و إبعاد في الوقت نفسه(10), إنها تحدد هوية الجماعة التي يشترك

أعضاءها في خصائص معينة ( قيم, مبادئ, تعاليم..), و يشكلون بذلك ما يعرف بثقافة الجماعة, التي تمثل صيغة تحديد فئوي, بين نحن وهم, و هو تمييز قائم على الاختلاف الثقافي. و نفهم من ذلك انه إذا كانت الهوية الاجتماعية, تتمثل في الانتماءات الاجتماعية للأفراد, فإن العلاقات التي تتكون بينهم(البناء الاجتماعي), و الرأسمال الثقافي المشترك بينهم, و المميز لهم, عن غيرهم, داخل هذه الانتماءات, هو ما يعرف بالهوية الثقافية, و لأنها موضوع عملنا البحثي, فإننا سنتناولها, بشيء من التفصيل في العرض.

يتركب مفهوم" الهوية الثقافية" من مفردتين "هوية" و"ثقافة", و هما مرتبطتين على سبيل الإضافة والاقتران, لضرورة و علاقة وظيفية, بين طرفي المركب, وظيفة لا تتحقق في غياب احد الطرفين(11). و لأنه تم مراجعة تعريف الهوية فيما سبق, بالقدر الذي يسمح به هذا المقام, فإننا نحتاج إلى تعريف الثقافة, قصد تحديد مفهوم" الهوية الثقافية", و ضبط دلالته.

الثقافة لغة مفردة جذرها في اللغة العربية ثلاثي الحروف " ث, ق, ف", و يرد الجذر بصورتين ومعنيين, الصورة الأولى " ثقف" الشيء بمعنى صادفه و أدركه و ظفر به و أخذه. و الصورة الثانية " ثقف" بمعنى صار حاذقا فطنا كيسا. نقول ثقف الكلام يعني حذقه و فهمه بسرعة, و ثقف الرمح يعني قومه وسواه, و ثقف الولد يعني هذبه و علمه, و ثاقفه مثاقفة: غالبه فغلبه في الحذق. و بهذا فإن مفردة ثقافة في اللغة العربية ترادف في المعنى عدة مفردات, منها: الظفر بالشيء و إدراكه و أخذه, و الفطنة و شدة الذكاء والحذق و الحذاقة والكياسة, و التسوية و التقويم, التأديب و التهذيب و التربية و غيرها(12).

و الثقافة في اللغتين الانجليزية و الفرنسية تشير إلى مفردة **Culture** و إلى مفردة **Cultural** في اللغة اللاتينية, التي تترجم إلى العربية على أنها الثقافة و التهذيب و الحراثة, و قد تأخذ معنى الحضارة, هذه المفردة جذرها **Cult** و معناها: العبادة و التدين, و من مشتقاتها **Cultuvation** و معناها: حراثة, تعهد, تهذيب, رعاية, و **Cultural** معناها ثقافي مستولد, و نلاحظ أن معناها في الانجليزية, لا يخرج عن معناها في العربية, غير انه يضيف مصداقا آخر من مصاديقها, و هو حراثة الأرض, و رعاية الزرع, و الاستنبات و التوليد, لكنه بشكل ما يربط مفهوم الثقافة بالدين و العبادة, فهما من جذر واحد, فالدين كان المنبع الأول إن لم نقل الوحيد للثقافة قديما, و حتى الآن لا يزال المنبع الأساسي و المرتكز الأهم للثقافة(13). و رغم تعدد التعريفات المنتجة حول الثقافة, وتباينها, نظرا لتباين واختلاف آراء العلماء و مدارسهم الفكرية, فإن تعريف تايلور **E.B. Tylor (1832-1917)** يعد من أشهر و أهم التعريفات, التي تناولت بطريقة كلية تعريف الثقافة, حيث عرفت بأنها: " ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة و الاعتقاد, و الفن و الأخلاق, والقانون و العادات و التقاليد, و أي قدرات أخرى تكتسب بواسطة الإنسان, باعتباره عضوا في المجتمع"(14).

فيما تقوم علاقة الثقافة بالهوية, على طبيعة و دور كل منهما في حياة الإنسان, و على التأثير المتبادل بينهما, و الهوية تدل و تعبر عن ماهية و حقيقة الكائن الإنساني, فرديا كان أو اجتماعيا, و تحدد المكونات والخصائص, التي تميزه عن غيره, و لا توجد في غيره, و لا يوجد من دونها, فالثقافات والهويات الثقافية, هي متعددة بتعدد المقومات التي تقوم عليها, مثل: الدين, اللغة, العرق, التاريخ, الذاكرة الجمعية والمصير المشترك.., بحكم تركيب الثقافة, كما سبق و أن بينا ذلك في تعريفها.

و بتعدد التعريفات المنتجة حول الثقافة, و التي أدرجنا أهمها, فإنه و تباعا, تتعدد التعريفات المنتجة حول الهوية الثقافية, فتعرف بأنها " القدر الثابت والجوهري و المشترك السمات و القسمات, التي تتميز به

الأمة عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى"(15). وتعرف كذلك بأنها" نظام من القيم و التصورات التي يتميز بها مجتمع ما تبعا لخصوصياته التاريخية والحضارية, وكل شعب من الشعوب البشرية ينتمي إلى ثقافة متميزة عن غيرها, وهي كيان يتطور باستمرار, ويتأثر بالهويات الثقافية الأخرى, و لهذه الأخيرة مستويات ثلاثة: **هوية فردية**, **هوية جماعية**, **هوية وطنية**.

و أبعد من ذلك, و نظرا للتداخل الشديد بينهما, يجعل البعض من الهوية مفهوما مرادفا للثقافة نفسها, إذ تعرف بأنها" ذلك الكل المركب, الذي يشمل المعرفة والعقيدة و الفن, و الأخلاق و القانون و العادات الاجتماعية, و كل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان, بوصفه عضوا في جماعته"(16). و بناءا على ما أسلفنا ذكره, نقول أن الهوية الثقافية, هي ماهية الكائنات الإنسانية, بكل ما تحمله من ثوابت ثقافية متأصلة في ذات المجتمعات, و هي لا تملك طابعا ثابتا و قارا, كونها تتحرك, تتكيف, تتطور, و تتجدد أيضا, بتطور وتجدد ظروف الحياة, غير أن ما تجدر الإشارة إليه, أن "مصالح حامليها كمجموعات أو جماعات, قد لا تتوافق في بعض الأحيان, فتنتج نظاما تراتبيا متحولا"(17), وتطورها قد ينجم إما عن التلاقي أو التصادم, مع الجماعات الاجتماعية, و الثقافات المختلفة.

## 2- التطرف الديني Religious extremism و المفاهيم ذات الصلة:

إن ظاهرة التطرف الديني ليست جديدة, إنما هي متجددة, حيث أثبت التاريخ قدمها, وبين أنها ليست لصيقة بدين معين, بل أن كل الأديان السماوية, قد عرفت التطرف, في فترات زمنية متقاربة و متباعدة, متزامنة و متفاوتة, و حتى يومنا هذا فإن جل المجتمعات الإنسانية, و رغم اختلاف دياناتها, تسعى جاهدة للإنفلات من قبضته, و مواجهته بما يؤمن استقرارها, و يصون هوياتها الثقافية. غير أن القاسم المشترك لكل حالات التطرف, هو عدم اعترافها وقبولها بالآخر, واعتقادها القطعي بامتلاكها الحقيقة, دون الآخر المختلف. علما أن مصطلحي " التطرف" و "متطرف" يطلقان بشكل دائم, من قبل الآخرين, بدلا من مجموعة معينة يمكن أن تعتبر نفسها كذلك, و على سبيل المثال لن تجد طائفة إسلامية أو مسيحية, تنعت نفسها بالمتطرفة, و إن كانت كذلك حقا.

و التطرف لغة اسم مشتق من الطرف, و يقصد به الناحية أو منتهى كل شيء, و يشير إلى تجاوز حد الاعتدال في الأمر, كما يعبر التطرف عن التشدد و الإفراط في شيء أو موقف معين, و التطرف هو الحد الأقصى, و هو الغلو في الأمر, بما يجاوز الاعتدال أو الوسطية, و الأخيرة في اللغة, تعني التوسيط و هو أن يجعل الشيء في الوسط, و هو اسم لما بين طرفي الشيء, و هو المعتدل, أي ما بين الجيد والرديء, و أوسط الشيء أعدله و أفضله و خياره, و قيل للخيار وسط, لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل, والأوساط محمية محوطة. غير أن نسبية حد الاعتدال, و تباينه من مجتمع إلى آخر, وفقا للرأسمال الثقافي الذي يحمله, بما فيها الممارسة الدينية (التدين), جعل "من الصعوبة بمكان تحديد أطر التطرف الديني, لأن حدود التطرف, متوقفة على حدود القاعدة الاجتماعية, و الأخلاقية, التي يتطرف المتطرفون في ممارستها"(18), و أن مقدار تدين الفرد يتوقف على تدين البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها, إما بالتطرف, أوالاعتدال, أو التسيب, و مع ذلك حاول بعض الباحثين صياغة تعريفات له, تناولنا منها تلك التي تبرز الخصائص الجوهرية للمتطرف دينيا, و تحدد في الوقت نفسه دلالة التطرف الديني.

و قبل ذلك لا بد أن ننوه بأن التطرف أنواع, و لا يقتصر على الديني فحسب, بل هو أحد أنواعه, التي تتعدد و تختلف بحسب المجال الذي يتم التطرف فيه, فنجد التطرف السياسي, التطرف الاجتماعي, التطرف الفكري.., و التطرف الديني موضوع هذه الورقة, و لذلك

سوف نتجاوز تعريف مختلف أنواع التطرف, و نركز في عرضنا على الديني منه.

يعرف التطرف الديني بأنه عدم الوعي, و الفهم الخاطئ للدين من حيث مبادئه و تعاليمه, و بالتالي تفسير النصوص الدينية تفسيرا خاطئا, و يحاول المتطرف دينيا إزاء ذلك, فرض آرائه بالقوة, و يتهم كل من يخالفها بالكفر, و أكثر من ذلك, فإنه لا يتوانى في إطلاق فتاوى, تستبيح دمه و أمواله.

و التطرف الديني أسلوب مغلق في التفكير, حيث يتسم المتطرف دينيا بالجمود الفكري (دوجماطيقي), وعدم القدرة على تقبل أي معتقدات تختلف و معتقداته التي يؤمن بها, و عليه لا مجال لمناقشته, أو البحث عن أدلة تؤكد أو تنفي هذه المعتقدات, كما يتصف المتطرف دينيا, بالخروج عن التقاليد الدينية السمحة, و التعصب للرأي, إلى الحد الذي لا يرى رأيا صحيحا غيره. لذلك نجد من بين المفاهيم ذات الصلة و التطرف, كلا من **"التعصب"**, **"التصلب"**, وكذلك **"الدوجماطيقية"**.

يعني **التعصب الديني Fanatism** "ضرب من الحماس الشديد, الذي يدعو إلى الغلو, و الاستمساك برأي أو موقف معين, و له مظاهر مختلفة, و أوضح ما يكون في المواقف الوطنية, و الآراء الدينية. و لا يقف التعصب الديني عند الإيمان العميق بفكرة أو عقيدة, بل يتعدى هذا إلى الدفاع عنها و الاستماتة في سبيلها, والاستخفاف بآراء الآخرين, و يخضع للدعوات التبشيرية, و وسائل الإيحاء المختلفة"(19). و يعتبر التعصب حالة مرضية غير سوية, على المستوى الفردي و الجماعي, فسلوك المتعصب يتميز "بالنظرة الحادة الضيقة الأفق, ويتصف بالرعونة و البعد عن التعقل, و **التصلب** في الرأي, و الخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة والاستهانة بالقيم و العرف الاجتماعي السائد, متى كان لا يلتقي مع اعتقاده"(20). و بهذا المعنى نجد أن التعصب يرادف التطرف, و يتقاطع و **التصلب Rigidity** الذي يعرف بأنه "سمة من سمات الشخصية, تكشف عن نفسها في مدى السهولة أو الصعوبة, التي يلقاها الفرد عندما يحاول تغيير سلوكه في اتجاه جديد, يبدو انه أكثر تحقيقا للتوافق"(21). و الفرد المتصلب عادة يعاني من مشكلة صعوبة أو عدم التوافق و التوائم, مع موقف ما, و عرفت الدراسات السيكولوجية الحديثة التصلب بأنه تدريج متصل بين قطبين, احدهما التصلب و الآخر المرونة, مستخدمة في ذلك تقنية التنازل السيكومتري لقياسه (قياس التصلب), كما طبق كذلك لدراسة " الاستجابات المتطرفة".

فيما تعني **الدوجماطيقية Dogmatism** الجمود الفكري, أو الأسلوب المغلق في التفكير, و المصطلح مأخوذ من المفردة اليونانية **Dogma** و تعني المبدأ الذي ينسب إليه الصحة المطلقة, و تشير كذلك إلى المذاهب و الآراء, التي تتجه إلى التأييد الأعمى, لمبادئ و مطالب مذهب أخلاقي ما, دون إمعان, أو النظر فيه. و أن الفرد الدوجماطيقي, لا يشكك في معتقداته وأفكاره التي يؤمن بها, و يدافع عنها, و إن كانت لا تجانب الحقيقة والصواب. و أكثر من ذلك, لا يتقبل آراء الآخر, لأنه يراه على خطأ, و لا يعترف بآراء صحيحة غير آراءه. و بهذا المعنى نجد أن الدوجماطيقي هو نفسه المتطرف, لأن هذه هي خصائصه. ومن ثم يمكن القول أن التصلب و التعصب و الدوجماطيقية, صور للتطرف, لأنها تمثل صفاته و خواصه المميزة, فالمتطرف هو فرد دوجماطيقي , يتسم بالغلو و التشدد في الدين, و يتميز بالتعصب لآرائه, و بالتالي التصلب, لأنه لا يقبل آراء غيره, و لا يرى الحقيقة و الصواب , إلا فيما يعتقد فيه, ويؤمن به. و لذلك نجد أن هذه المفاهيم لصيقة بالتطرف, و لا تكاد تنفك عنه, و أن مجرد التكلم عن التطرف, يستدعي ذكرها والتطرق إليها.

هذا, و يشير التطرف الديني كذلك إلى الطريقة الانتقائية المتعسفة, في التعامل مع النصوص

الدينية, لتمرير أفكار معينة, و فرضها على الآخر بالقوة, باستخدام العنف. و ننوه في هذا السياق بأن المتطرف يستخدم العنف الفكري و الرمزي و اللفظي, في رفضه للآخر أو إقصاءه, و قد يتجاوزه إلى العنف الجسدي و المادي, حين يكون في موضع الضعف, أو حال شعوره بالعجز أمام قوة الآخر(السلطة). و في هذه الحالة يكون المتطرف قد تحول إلى إرهابي, و هو أخطر ما يمكن أن يترتب عن التطرف, "حيث أثبت أن نسبة 95% من حالات الإرهاب, و الإرهاب المنظم, التي اجتاحت العالم العربي, خلال الخمسين عاما الماضية, كانت نتاجا للتطرف"(21).

### 3- التطرف الديني و الهوية الثقافية ما العلاقة؟

بادئ ذي بدء لابد أن نشير, إلى أن العلاقة بين التطرف و الهوية الثقافية, تحتم علينا – أولا- أن نفهم علاقة الثقافة الفرعية بالكلية (الثقافة الأم), التي تعبر كذلك عن علاقة الجماعة الاجتماعية بالمجتمع الكبير, وما دام الأخير يختص بثقافته الكلية, أو منتجاته الثقافية, فإن الجماعة تنهل منها أصولها الثقافية, ولذلك تعرف الثقافة الفرعية بأنها "مفهوم يشير إلى القيم و موجهات السلوك غير الأساسية, الفردية والجماعية, في مجتمع من المجتمعات الإنسانية"(22), غير أنها قد تتعارض و إياها في تفصيلات معينة, ومن ثم فإن للجماعة كذلك ثقافتها, و تعرف بثقافة الجماعة, التي قد تجمعها علاقة تصادم و صراع والثقافة الكلية, باعتبارها ثقافة فرعية. علما أن الجماعة ليست مجرد جمع من الأفراد فحسب, بل يجب أن يرتبط أفرادها بنوع من البناء الاجتماعي المتكامل, كي يصبحون أعضاءا ضمنها, و من ثم فإن هذه الجماعة تكتسب شكلا بنائيا, نتيجة قوة الروابط التي تتكون بين أعضاءها, و لتحقيق التآلف و الانسجام بينهم, فإنه يتوجب أن يشترك الأعضاء في القيم, المعايير, المبادئ و المثل نفسها, بمعنى أن يكون للجماعة ثقافتها.

و تعمل ثقافة الجماعة, على تمتين و تقوية الشعور بالانتماء إلى الجماعة, طالما أن الأعضاء فيها, يشتركون في الأفكار و القيم و الاتجاهات نفسها, و عليه يعتبر الشعور بالانتماء إلى الجماعة, أحد المحكات الأساسية في تماسك الجماعة, و أن شعور الأعضاء بانتمائهم إلى الجماعة, يجعلهم يتحدثون عنها و باسمها, بدلا عن ذواتهم كأفراد, و تسود بينهم مشاعر الولاء لها, و المسؤولية المشتركة نحوها, و الاستعداد التام للدفاع عنها. و قد تتطور هذه الروابط الاجتماعية بين الأفراد, و شعورهم بالانتماء للجماعة و الولاء لها, إلى الانغلاق, حيث يرفض الأعضاء انخراط آخرين بينهم, لاختلافهم عنهم من حيث الايديولوجيا أوالمعتقد أو المذهب الديني.., فتأخذ الجماعة بهذا المنحى شكل **الطائفة Caste**, و هو ما يتطابق والجماعات الدينية المتطرفة, التي نجدها من حيث خصائصها, تقترب إلى الطائفة, إذ تعرف بأنها "طبقة مغلقة على أعضائها, الذين يولدون فيها, و لا تسمح لهم بالتزاوج, من أعضاء طبقة أخرى, و يمكن أن يكون للطائفة, أساسها السلالي, أو الديني, أو الطبقي الخاص بها"(23).

إن الجماعات الدينية المتطرفة أو الطوائف الدينية, تمثل ثقافات فرعية داخل الثقافة الكلية للمجتمع الكبير, و هي و إن كانت تتعارض و بعض الاتجاهات الفرعية فيه, أو بعض تمثلاتها و تصوراتها لمفاهيم, ومعان معينة, إلا أنها لا تناقضه, بل تحاول أن تفرض و تمشرع ممارسات أو أفكار, تراها أساسية من وجهة نظرها, و قد تأخذ شكل حركات إصلاحية, بغرض إصلاح المجتمع, و تغييره إلى الأفضل, فيما تكون منحرفة أو منتقصة أو خاطئة, من منظور المجتمع, فالعلاقة إذن بين الجماعة و المجتمع, و إن بدت متينة, و تشكل علاقة الجزء بالكل, فإن العلاقة بين الثقافة الأم و الثقافة الفرعية, تكون غالبا تصادمية, يشوبها نوع من الصراع الدائم. و إذا كان للمجتمع هويته الثقافية, فإن للجماعة الاجتماعية أو الطائفة هويتها الثقافية كذلك,

لأنها تمثل صورة مصغرة عنه, فهي تشترك معه في الأنساق الثقافية الكبرى كالدين واللغة, و أن هذه الأنساق المذكورة, تكون في العادة موضوع النزاع بينهما, ذلك أن لكل جيل قراءته, و أطره التفسيرية حول اللغة و الدين, و أن هذه التصورات والتفسيرات ليست بالثابتة, لأنها تخضع إلى متغيرات الزمان و المكان والمصلحة.., فالنسبية في فهم المسائل و معالجتها, من تصنع العلاقة التصادمية بين الثقافة الكلية والفرعية, حيث يظهر في كل حقبة زمنية معينة, حركات سياسية أو دينية إصلاحية, يقودها شباب ثائر, يستهدف التغيير و الإصلاح, و بالتالي محاولة تغيير بعض ملامح الهوية الثقافية للمجتمع الكبير.

وعليه فإن الهوية الثقافية, و في زخم كل ذلك, قد تتأثر سلبا, لاسيما إذا كان موضوع الصراع أحد مقوماتها, إذ تسعى الثقافة الفرعية إلى تغيير بعض الأنماط, والسمات الثقافية, فيما يقاوم المجتمع و يعمل على الإبقاء عليها كما هي, و هذا من شأنه أن يحدث أزمة هوية حقيقية, لأن التماسك الاجتماعي, سيكون أول من سيلحقه الضرر, جراء هذا الصراع, و ما يمكن أن يترتب عليه, من انشقاق و اغتراب و تفكك اجتماعي. و في هذا السياق نتساءل عن المراد بالتطرف الديني و مدى الخطورة التي يمكن أن يلحقها بالهوية الثقافية للمجتمع؟

## 4- التطرف الديني و خطره على الهوية الثقافية للمجتمع فيما يتجلى؟

شهد القرن العشرين, بروز العديد من الجماعات و الحركات الدينية, منها ما هو معتدل, و ما هو متطرف, و الحق, أن هذه الحركات لم تنشأ من فراغ, فقد تضافرت عدة عوامل سياسية, فكرية, اقتصادية واجتماعية, في تكوينها, و تمخض عن ذلك, الشعور بالحاجة إلى ضرورة الأخذ بأسلوب جديد, من اجل الإصلاح و التغيير, علما أن هذا النوع من الحركات الإصلاحية, ليس بحديث العهد, و إنما يضرب بجذوره أعماق التاريخ, لاسيما تلك المتطرفة منها, و التي ظهرت في مختلف الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية), أما في الدين الإسلامي, فقد برز العديد منها, و كان أشهرها الخوارج, التي بدأت متطرفة, وانتهى بها الأمر إلى الإرهاب, و كان من بين ما ارتكبته, إرسال من يغتال الإمام علي- كرم الله وجهه-, وكان لها ذلك.

و توالت بعدها حركات متطرفة أخرى, تنشط تحت عباءة الدين, نذكر منها: "القرامطة, الحشاشين, وأتباع المانوية, و سائر الغلاة, إلى يومنا هذا, من أولئك الذين يمارسون الغش الفكري, ضد المجتمع, ويلبسون الحق بالباطل, خداعا و تمويها, من اجل قيادة نفر من الشباب المنفعل, و تعبئتهم, للقيام بما يحقق أغراضهم"(24).

و في الإسلام ذم للتطرف و الغلو, لقوله تعالى:

**{ قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل}**(25). فمن اتبع أصحاب الأهواء, من مغالين ومتطرفين, يضل, و يضل غيره, لذلك وجب ردعه, و إبدال منهجه الخاطئ, بدل مساندته, لأن تعاطف الأفراد و تشجيعهم لهؤلاء المتطرفين, يشكل أهم عوامل قوتهم, و استمرارهم, مما يسهم في اتساع دائرة نشاطهم, وبالتالي استقطاب أفراد آخرين للانضمام إلى جماعاتهم. إذ تسعى هذه الجماعات المتطرفة, و التي تزعم أنها مصلحة, إلى جذب الشباب إليها, و أي شباب؟ إنها فئة الشباب المحبط, اليائس, الذي يعيش حياة البؤس والشقاء, في ظل حكومات لم تعرف كيف تستغل طاقاتها, و لم تفلح في سد حاجاتها الأساسية كتوفير مناصب الشغل, أو سكنات لائقة..أو لنقل شروط الحياة التي تحفظ كرامة هؤلاء الشباب, وتجعلهم على كف المساواة, تحقيقا للعدالة الاجتماعية, التي أصبحت شعارا مستهلكا, لدى الحكومات و الأحزاب السياسية حال ترشحها للانتخابات. وأكثر من ذلك نجد أن التنشئة الدينية الهشة للشباب, تمثل عاملا مهما, في استقطابهم

من قبل هذه الجماعات المتطرفة, علما أن المتطرفين أنفسهم بما فيهم قادتهم, ليسوا من علماء الدين, أوالفقهاء, فهم عادة يقومون بمنح المفاهيم الدينية, دلالات خاطئة, و ينسبون لها مرادفات, لا تمت لها بصلة, فهم يجعلون من القتل جهادا, و من الانتحار استشهادا, و من الاستيلاء على أموال الغير غنائم..., إضافة إلى الفتاوى المغرضة والمغلوطة, التي يطلقون عليها اجتهادا, فيكف إذن أن يستظهر احدهم بعض الآيات القرآنية المنتقاة, ليمنح أفكاره المتطرفة إمكانية القبول وبالتالي الإقناع, فلا يجد مقاومة, أو تشكيك فيما يريد تمريره إلى الشباب, لأن هؤلاء لا يمتلكون زادا دينيا, لمواجهته و الرد عليه, نتيجة ضعف تكوينهم الديني, ومن ثم يسهل التأثير عليهم.

هذا, و تسعى الجماعات المتطرفة, إلى البحث عن ما عجزت الحكومات في تحقيقه, و تعد هذه الثغرات نقاط قوة في الخطاب المتطرف, فتستعمل كأدلة و حجج لإقناع الآخر بإتباعهم, و بأن الانضمام إليهم, هو البديل الأمثل, للخلاص من الفساد و الظلم الذي تمارسه السلطة ضدهم, بل و هو الملاذ الأخير. و لأن الدين هو مصدر القيم و المبادئ و الأخلاق في المجتمع, فلا يمكن أن يشكك هؤلاء الشباب المحبطون, فيما يذهب إليه المتطرفون, خاصة أمام ضعف تكوينهم الديني. و فيما يلي, سوف نبرز خطر انتشار الفكر المتطرف, في أوساط الشباب, و انعكاس ذلك على الهوية الثقافية للمجتمع. و سنركز على ثلاثة أمراض (مشكلات اجتماعية) تفتك بالهوية, و تؤثر على الوحدة الوطنية, إنها: الانعزال, الاغتراب, الإرهاب.

- **الانعزال Isolation:**

الانعزال "لغويا هو العزلة, و التنحي جانبا"(26), و العزلة "ظاهرة اجتماعية, لوحظت على نطاق واسع, في المجتمعات القديمة, و كانت ترجع إلى اعتبارات إثنية (عنصرية), دينية و لغوية, و إلى عدم التجانس في السمات العامة للحياة الاجتماعية"(27). و للانعزال بالنسبة للجماعات المتطرفة ما يبرره, ذلك أن النسيج العلائقي المتين, بين أعضاء الجماعة المتطرفة, و التعصب إلى ما يشتركون في الإيمان به من أفكار ومبادئ, يدفع بهم إلى اعتزال من حولهم, لاسيما حال شعورهم, بتحدي النظام الاجتماعي و السياسي لهم, أو في الحالة التي يمثلون فيها, الأقلية ضد الأغلبية.

فالتطرف يبدأ بالسرية داخل القاعدة الاجتماعية, و يتحرك باتجاهها, و لذلك لا يمكن التنبه إلى وجوده, فيما يمكن مثلا أن تنتبه الأجهزة الأمنية و القانونية إلى المجرم, وتتم معاقبته, لأنه يتحرك ضد القاعدة الاجتماعية, كما انه من الصعوبة بمكان, تحديد متى يتجاوز المتطرف حدود الحركة المقبولة اجتماعيا, و التي يمكن عندها فقط, وصفه بالغلو و التطرف, حيث لا يمكن وضع حدود فاصلة, بين المعتدلين و المتطرفين, في البدء(28).

و المتطرف عادة, يبدأ بالتشدد مع نفسه, و مع الآخرين, ثم يتجاوز ذلك, إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة, مبنية على فتاوى مغرضة, على كل من لا يتبعه, في مسيرته و دعوته, و أن هذا الحكم, يمثل موقفا ثابتا ودائما, من المجتمع, و مؤسساته, و حكومته, و يبدأ هذا الموقف في العادة بالعزلة, و المقاطعة, بوصف الآخر "بالكفر و الردة ", و العود إلى "الجاهلية", ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي, إلى عدواني, حيث يرى المتطرف, أن هدم المجتمع, و مؤسساته, هو نوع من التقرب إلى الله, و جهاد في سبيله, لأن هذا المجتمع في نظر المتطرف, جاهل و منحرف, و لا يحكم بما انزل الله.

و العزلة في نهج الجماعات المتطرفة, "تؤدي وظيفتين اثنتين, الأولى: تجنب أعضاء الجماعة المنكرات, التي عمت في المجتمع, و حماية أنفسهم, من أن يشاركوا في نهج الجاهلية, أما الثانية: تكوين مجتمع خاص بهم, تطبق فيه مبادئ الإسلام, و تتسع دائرته شيئا

فشيئا, حتى تتمكن في النهاية, من الهيمنة على المجتمع الجاهلي من خارجه"(29). و كما هو واضح فإن الوظيفة الأولى دينية فكرية, بينما الوظيفة الثانية سياسية و حركية. و يكون فيما بعد لهذا النهج الانعزالي, مفعوله على الوحدة الوطنية, و الشعور بالانتماء والمواطنة, حيث يعمل هذا النهج, على إحداث التشتت و الفرقة و العدوان بين أبناء الوطن الواحد, و حتى البيئة الاجتماعية الواحدة (داخل الأسرة الواحدة). و بالتالي عرقلة أهم عمليات المجتمع, المفضية إلى التماسك الاجتماعي, إنها عملية التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع, الذين ينصهرون من خلالها في ذات المجتمع وثقافته, و أن البناء الاجتماعي فيه, يجب أن يعكس و حدة الثقافة, و اللغة, و الدين, حتى لا تتعرض هوية المجتمع للتشويه, والتميع, و بدل احتوائها على خصائص تميزها عن هويات أخرى, فقد تتضمن هويات ثقافية متصارعة داخلها, و من ثم تفقد ميزتها, و أهميتها في التعريف بالمجتمع الذي تمثله.

- **الاغتراب Alienation:**

يشير مفهوم الاغتراب, إلى "حالة انفصال بين الفرد و الموضوع, بين الفرد و الأشياء المحيطة به, بين الفرد و المجتمع, فعلاقة الفرد بالأشياء أو الموضوع, علاقة غير سوية, فهو يعيش في مجتمعه, و بين أهله في دائرة الغربة, يعيش في عالم مجرد من القيم, يسوده جو كريه, لدرجة انه لا يرفض الحياة فقط, بل يعاديها أيضا"(30). و هنا يجدر بنا التمييز بين الاغتراب كحالة نفسية – اجتماعية, و بين **التغريب** الذي يقصد منه تبني ثقافة الغرب. فالشباب البائس, و أمام الظروف الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية المتردية, التي يتخبطون فيها, يشعرون بالإقصاء و التهميش, و أن حقوقهم مهضومة.., و تسيطر عليهم عادة, حالات الحيرة و القلق, و هم دائمي البحث عن البدائل, و من ثم يكون من السهل انقيادهم وانصياعهم إلى الجماعات المتطرفة, وحال انتماءهم إليها, فإن البيئة المتطرفة تغذي شعورهم بالاغتراب و تعمقه داخلهم. كون الاغتراب وبحسب ما ذهب إليه **انجلش English** هو" فقد أو نقص العلاقة أو الصلة, متى و أين ما تكون تلك العلاقة, أو الصلة المتوقعة, وهي حالة يكون فيها الأشخاص, و المواقف الشائعة غريبة, عن الشخص"(31).

كما أن انغلاق الجماعات المتطرفة, و تعصبها لما تعتقد فيه, و انعزالها عن المجتمع, و تكفيرها له, يمهد من دون شك, لظهور ما يعرف بالاغتراب نحوه, و هو يمثل في تقديرنا خللا وظيفيا ضمن عملية التفاعل الاجتماعي, كون الأخير ليس مجرد عملية اتصال بين الأفراد و حسب, فالفرد في تفاعله مع الآخر, يعط شيئا من ذاته له, و بالتالي يتأثر كل منهما نتيجة لهذا التفاعل. و إذا كان النسيج العلائقي بين الأفراد يفرز هذا التفاعل الاجتماعي, فإنه و بتمزقه تفقد العلاقات الاجتماعية, فيفقد التفاعل ضمنها, و عليه فإن زوال التفاعل يعني, عدم الشعور بالانتماء إلى من تجمعنا بهم بيئة اجتماعية واحدة, أو وطن واحد, ويحل الاغتراب محل الانتماء و التفاعل, لتبرز بذلك حالة اللاانتماء و اللاتفاعل, بمعنى بروز الكراهية والنفور, و تكريس الانعزال بقدر اكبر, بين أفراد المجتمع الواحد. و هكذا كلما زاد الشعور بالانتماء بين المتطرفين داخل جماعتهم, زاد شعورهم بالاغتراب نحو مجتمعهم, مقابل تدني شعورهم بالانتماء له, وبمواطنتهم, و هويتهم, لأنهم يحاولون تكوين عالمهم الخاص, و من ثم هوية تخصهم, و تعبر عن أفكارهم ومعتقداتهم.

و يبدأ المتطرفون في جذب الأفراد إليهم, و إقناعهم بالانتماء إلى جماعاتهم, و أن ما سيقومون به, هو لصالح المجتمع, و سيجزون عليه خيرا, يوم الحساب, و هذا من باب درء المفاسد, و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, و أن أول ما يشترطونه على المنضمين إليهم, هو اعتزال هذا المجتمع الكافر, غير أن هذه العزلة ومع مرور الوقت, تتطور إلى شعور بالاغتراب, و كراهية إلى الآخر, و لذلك عادة ما يتعامل الفرد المتطرف بعنف و

إياه, غير أن هذا العنف المتأجج و المترتب عن الانعزال و الاغتراب, قد يدفع إلى ما هو أشد خطورة على المجتمع, و هويته الثقافية.

- **الإرهاب Terrorism:**

حينما يتحول التطرف من مجرد خطاب و فكر, إلى فعل عنيف, فإنه يكون قد بلغ مداه, و انتقل إلى اخطر مراحله, بعد الانعزال و الاغتراب, ليصبح إرهابا, و من ثم فإن التطرف و الإرهاب وجهان لعملة واحدة, حيث يكون التطرف الديني في اغلب الأحيان, الخلفية الأساسية لتكوينه, ويكون الإرهاب أسلوبا لفرض الفكر المتطرف, لأن الجماعات المتطرفة, في موقع الضعف, و بخاصة أمام السلطة, تسعى إلى تغيير أسلوبها, من عنف لفظي ورمزي, إلى عنف جسدي و مادي و نفسي. و يشير لفظ الإرهاب إلى الإفزاع أو التخويف, و يستعمل مصطلح إرهاب , للإشارة إلى استخدام وسائل قادرة , على خلق خطر عام , أو وجود أفعال معينة, تتضمن إحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع. علما أن الإرهاب و على غرار التطرف, هو ظاهرة اجتماعية عالمية, تعاني من ويلاته جل المجتمعات الإنسانية, لذلك يستخدم كذلك اصطلاح الإرهاب الدولي. و من ابرز الأساليب الإرهابية, اختطاف الطائرات و الأفراد, استخدام المتفجرات, القيام بعمليات انتحارية, تعرف في تنظيمهم بالاستشهادية, وهي مفاهيم دينية, يراد منها تغليط الشباب, لإقناعهم بالانضمام إليهم, طالما أن ما يقومون به, لا يخرج عن دائرة الأعمال الإجرامية, التي يعاقب عليها القانون.

إن زرع الرعب في المجتمع, و سفك دماء الأبرياء, و نهب أموالهم..., كل هذه الجرائم ترتكب باسم الدين, رغم أن كل ما يقترفه الإرهاب محرم دينيا, فهذه الأفعال العنيفة والإجرامية, نجدها قد أساءت كثيرا إلى الدين, و نسبت إليه ما لا يمت له بصلة, فشوهت رسالته و حرفت تعاليمه, لتبرير ما تقوم به, و بالتالي فقد شوه الإرهاب, الهوية الثقافية لكل المجتمعات الإسلامية, فأصبح العنف و الإجرام لصيقا بها, و بالدين الإسلامي, وان كان الإرهاب ظاهرة عالمية, مست كل الأديان السماوية, إلا أن الإسلام نجده أكثر من تضرر منها, و يكف أن نشير إلى المصطلح الجديد, الذي يتداوله الإعلام الدولي بقوة, في أيامنا هذه, والذي اقترن بالدين الإسلامي, انه **"إسلاموفوبيا"**, و يعني الخوف من الإسلام. فقد عمل المتطرفون و الإرهابيون, على حد سواء على تشويه صورة الإسلام, بالقدر الذي أصبح يمثل دين رعب و فزع, و أن كل المسلمين, يمارسون العنف ويرتكبون الإجرام, و بات الإسلام يهدد امن و استقرار المجتمعات التي لا تعتقنه, و لا تنزع إلى اعتناقه, حيث تمادى البعض في إطلاق تسمية اسلامويين, بدل إرهابيين, على اعتبار أن التسميتان مترادفتان, و تشيران إلى الدلالة نفسها.

إن ما آلت إليه المجتمعات العربية و الإسلامية خاصة, من تشويه لهوياتها الثقافية, جراء ما ترتب عن التطرف الديني, عمل على تنامي نظرة الازدراء و الاحتقار لها, رغم ما يدعو إليه الدين الإسلامي, من تسامح و احترام لحريات الآخر, و ما يحث عليه, من تآخي و تضامن و تآزر, غير أن الفكر المتطرف استخدمه لأغراض بعيدة كل البعد, عن مبادئه و أهدافه السامية, فاكسبه بذلك خصائص و سمات غريبة عنه, أدت إلى اعتباره كأحد العوامل المهددة للسلم والاستقرار الاجتماعيين, فكيف يمكن إذن انتشال هويتنا من خطر التطرف, وحمايتها من كل ما يضر بها و يشوهها؟

## 5- كيف نحافظ على هويتنا الثقافية في مواجهة الفكر المتطرف؟

إن مواجهة الفكر المتطرف ليست بالأمر الهين, و ليس من السهل التحاور مع أفراد, لا يقبلون مناقشة ما يعتقدون فيه, و لا يؤمنون أساسا بفكرة الحوار, غير أن مثل هذه المشكلات الاجتماعية, تتطلب تضافر جهود كل مؤسسات المجتمع, بما فيها المجتمع المدني, و على

رأسها الأسرة. فالتطرف لا يرتبط بسن معين, ولا تتحدد ممارساته, ضمن مؤسسات معينة في المجتمع, كما أنه من الخطأ أن نحمل المؤسسة الدينية (المسجد) لوحدها, مسؤولية انتشار التطرف الديني, أو اتجاه الأفراد إلى التطرف, لأن عوامله و مسبباته متعددة, و عليه سوف نقترح جملة من الأساليب التي تترنح بين التربوية, الأخلاقية, الأمنية, في ظل محددات هويتنا الثقافية, في محاولة منا للتقليل و لو بنسبة ضعيفة, من لجوء الأفراد و بخاصة الشباب إلى التطرف, و اعتباره مهربا و حلا, لما يعانون منه من مشكلات اقتصادية, اجتماعية و نفسية.

- **الأسرة و التنشئة الدينية:**

إن معالجة أي مشكلة مهما كانت, تتطلب الانطلاق من بدايتها, حتى يمكن فهمها, وتحديد مكمن الخلل فيها, و عند تناولنا للتطرف, لابد أن نضع في الحسبان, أن المتطرف لا يولد كذلك, بالفطرة, و إنما هنالك عوامل ما, تؤدي إلى تطرفه, و لذلك يجب أن نعلم الطفل منذ صغره, قواعد التعامل مع الآخر, بدءا من بيئته الأسرية, التي تمثل أول البيئات الاجتماعية, التي تتيح له التفاعل مع غيره من الأفراد, و من ثم يمكن إكسابه, الهوية الثقافية لمجتمعه, في سياق يحدد له واجباته, حقوقه, ما يجب فعله و تقديسه, و ما يجب تركه و الامتناع عنه.

و أن رعاية الطفل, داخل بيئته الأسرية, تمثل نقطة الانطلاق, لبناء المواطن الصالح, و لا يقتصر الاهتمام به, على النواحي العقلية, الجسدية و النفسية, و إنما يمتد لينمي عواطفه, أخلاقه, اتجاهاته ودوافعه, وفقا للمعايير التي تحددها ثقافة المجتمع, الذي ينتمي إليه, و يعيش فيه. و من الأهمية بمكان, أن تعرف الأسرة طفلها, بالقيم و الآداب الاجتماعية النابعة, من معايير مجتمعه, كما ينبغي تزويده كذلك, بالمفاهيم الاجتماعية, مثل: الأسرة, الجيرة, الحي, الحكومة..., كي يكون مستعدا لاكتشاف مجتمعه, و فهم دوره, وادوار الآخرين من حوله, و كل المؤسسات التي تؤمن له إشباع حاجاته(32).

هذا, و لا تنفصل التربية الاجتماعية, عن التربية الدينية, لأن الأخيرة تمثل المصدر الأول والأساسي, للتربية الاجتماعية, و عليه فإن أخلاق المجتمع لا تتعارض و الأخلاق المنصوص عليها دينيا, فالدين مصدر الأخلاق فيه (في المجتمع), و الأخلاق هي أسلوب الفرد في تعامله مع الآخرين في الحياة الاجتماعية, و أن تفاعله معهم, تحكمه قيم و آداب مجتمعه. و لذلك يتعين على الأسرة أن تركز على تربية الطفل من الناحية الدينية, ليس من باب العبادات فحسب, بل من باب المعاملات أيضا, فلا بد أن نغرس في الطفل استعداده لتقبل آراء الآخرين, و التحاور معهم, و تقديرهم حتى أثناء اللعب معهم, و نعلمه أن الاختلاف لا يكون بين الجنسين فقط, بل في الأفكار و المعتقدات كذلك, مع إثارة حاجته للتعبير عن مشاعره في مواقف مختلفة, و أن تتابع الأسرة الحالة الصحية و النفسية لطفلها, على نحو مستمر.

كما يوكل للمدرسة كذلك دور التنشئة الدينية للطفل, من خلال موادها التعليمية, التي يفترض أن تنمي فيه, روح التعاون و المشاركة, و الحوار مع زملائه, حول مواضيع متعددة, و أن تقدم له نماذجا تربوية يقتدي بها في أخلاقه و سلوكه, و أهم هذه النماذج شخصية **"الرسول محمد صلى الله عليه و سلم"**, وسيرته العطرة.

- **السلطة و مؤسسات المجتمع المدني:**

أولا, يجب أن ندرك أن الطفل مع تعاقب السنون, يصبح شابا, و تزيد حاجاته العاطفية, الاجتماعية, الاقتصادية وكذلك المعرفية, و من ثم قد لا تتمكن الأسرة و المدرسة, من إشباع حاجاته المتعددة و

المتزايدة, وعليه فهو بحاجة لاحتوائه ضمن مؤسسات اجتماعية أخرى, تعمل بدورها, على تنمية قدراته المعرفية, الانفعالية, العاطفية..., و سد حاجاته الأخرى, و هنا تبرز أهمية السلطة في احتواء شبابها, باعتبار أنهم طاقاتها المنتجة, و من ثم استغلالهم فيما يحقق تنمية المجتمع, و يحقق اشباعاتهم المنتظرة, و ذلك عن طريق توفير أساسيات, و ضروريات العيش الكريم, حتى لا تكون عاملا في اتجاه الشباب إلى التطرف, وفي الوقت نفسه, حتى لا يترك مجالا لاستغلال المتطرفين لهذه الأوضاع, مع ضرورة منح الشباب فرصة المشاركة السياسية, في اتخاذ كل القرارات, التي تمس حياتهم كمواطنين, فلا يشعرون بالإقصاء و التهميش. و لا بد أن تتساند و تتضافر معها, كل مؤسسات المجتمع المدني من أحزاب سياسية, و نوادي و جمعيات رياضية و ثقافية و فنية, لتسهم كذلك في التنشئة السياسية, و الثقافية للشباب, و كذا الترويح عنهم, وتوعيتهم بمدى أهمية استغلال الوقت فيما ينفع, و في هذا السياق نشدد على الدور الفعال لائمة المساجد و الفقهاء, فيما يخص التنشئة الدينية للشباب, وتوعيتهم و تنبيههم إلى خطر التطرف, و ما يمكن أن ينجر عنه, وبالتالي سد الباب في وجوه المتطرفين, من منابر المساجد أو عن طريق مختلف وسائل الإعلام, و في هذا الخصوص, لا بد أن تمارس السلطة الرقابة, على كل وارداتها, من كتب و مجلات, أشرطة و أقراص مضغوطة **CD ROM**, التي يمكن أن تحوي أفكارا متطرفة, أو حتى بالنسبة للمواقع الالكترونية, التي تحرض و تدعو للتطرف بوجه عام.

**خاتمة:**

نافلة القول, إن الهوية الثقافية تعبر, عن ذات المجتمع, و كيانه الكلي, الذي يصنع تفرده و تميزه, عن غيره من المجتمعات في العالم, و هي محصلة مقومات أساسية مثل اللغة, و الموروث الثقافي, و الدين, هذا الأخير الذي يمثل أهمها, كونه يعمل على تنميط الحياة الاجتماعية برمتها, و توجيه الاتجاهات والمواقف, وأشكال السلوك الاجتماعي, بحسب تعاليمه, مبادئه, قيمه و معاييره, غير أن مكمن الإشكال في الموضوع, يتجسد في طرائق الممارسة الدينية, بين الأفراد داخل المجتمع نفسه, فيتسيب البعض, و يعتدل البعض, فيما يتطرف و يتشدد البعض الآخر, فيقوم المتطرفون و الحال هذه, بتشويه رسالة الدين و هدفها وفحواها, و من ثم يختل السلوك, و تختل الممارسات الاجتماعية بوجه عام, و تظهر بذلك العديد من الأمراض الاجتماعية, التي تفتك بالهوية الثقافية, مثل النزاعات و الصراعات, و الانعزال و الاغتراب, و كلها تفضي للأسف إلى التفكك الاجتماعي والسياسي.

غير انه و بتضافر جهود كل المؤسسات في المجتمع (الأسرة, المدرسة, المسجد..), يمكن أن نكسب الشباب مناعة فكرية, ضد التطرف الديني, و بالتالي نحمي و حدة الوطن, و الشعور بالانتماء و المواطنة, وأن يكون الدين عاملا لقوتنا و تماسكنا و وحدتنا, و مصدرا لثقافتنا, لا عاملا مفككا و مهدما لأواصر الأخوة والمحبة بيننا, و بذلك نحفظ هويتنا الثقافية, من كل ما يكن أن يشوهها, و يسئ إليها, و أن التطرف مهما تعددت صوره, و اختلفت, لا خير فيه, ما دام يؤسس لعوامل التشتت و الفرقة و التفكك الاجتماعي.

**الهوامش:**

**1**-جوردن مارشال, موسوعة علم الاجتماع (المجلد الأول), ترجمة: محمد محمود الجوهري, المجلس الأعلى للثقافة و المشروع القومي للترجمة, 2000, ص 520.

**2**-نصر الدين لعياضي, الهوية الوطنية و التلفزيون: عشر أطروحات لتطليق المسلمات, مجلة التواصل, عدد: 32, مديرية النشر- جامعة باجي مختار- عنابة, ديسمبر 2012, ص 52.

**3**-جان فرنسوا دورتيه, معجم العلوم الإنسانية, ترجمة: جورج كتورة, كلمة و مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع- ابوظبي, ط1, 2009, ص1108.

**4**-عادل شيهب, الثقافة و الهوية-إشكالية المفاهيم و العلاقة **http://www.arathropos.com/**

**5**-عبده الحلو, معجم المصطلحات الفلسفية (فرنسي-عربي), المركز العربي للبحوث و الإنماء- مكتبة لبنان (د.ت), ص 80.

**6**-عبد العلي الودغيري, اللغة والدين والهوية, مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 2000, ص67.

**7**- محمد العربي ولد خليفة, المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية, ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. 2003.

**8**-https://ar.wikipedia.org/wiki/

**9**-حكيمة بولعشب, تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة

**10**http://www.arathropos.com/-عادل شيهب, مرجع سابق.

**11**-جيلالي بوبكر, الهوية الثقافية http://almothaqaf.com/index.php/thaqafat/885787.ht

**12**ml-المرجع نفسه.

**13**-المرجع نفسه.

**14**-محمد احمد بيومي, المجتمع و الثقافة و الشخصية (دراسة في علم الاجتماع الثقافي), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 1986, ص84.

**15**- إبراهيم الحسن, الهوية http://www./ Alarbio.com

**16**- فاروق الثقافية الصحراوية

عبده و احمد عبد الفتاح الزكي, معجم مصطلحات التربية (لفظا و اصطلاحا), دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر- الإسكندرية, 2004, ص 250.

**17**-نصر الدين لعياضي, مرجع سابق, ص 54.

**18**-محمد احمد بيومي, المشكلات الاجتماعية (دراسات نظرية و تطبيقية), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005, ص 400.

**19**-إبراهيم مذكور و آخرون, معجم العلوم الاجتماعية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1975, ص 160.

**20**-المرجع نفسه, ص 147.

**21**-http://www.facebook.com/notes/ahmed-kefi/

**22**-سمير سعيد حجازي, معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس و الاجتماع و نظرية المعرفة (عربي- فرنسي), دار الكتب العلمية- بيروت, ط1, 2005, ص 184.

**23**-جمال مجدي حسنين, سوسيولوجيا المجتمع, دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005, ص 210.

**24**-محمد عوض الترتوري و أغادير عرفات جويحان, علم الإرهاب (الأسس الفكرية و النفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب), دار الحامد- الأردن, 2006, ص 379.

**25**- سورة المائدة, الآية: 77.

**26**-إبراهيم مذكور و آخرون, مرجع سابق, ص 79.

**27**-المرجع نفسه.

**28**-محمد احمد بيومي, المشكلات الاجتماعية (دراسات نظرية و تطبيقية), مرجع سابق, ص 399.

**29**-المرجع نفسه, ص ص 405-406.

**30**-مجدي احمد محمد عبد الله, السلوك الاجتماعي و ديناميات (محاولة تفسيرية), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005, ص 317.

**31**-المرجع نفسه.

**32**-حنان عبد الحميد العناني, تنمية المفاهيم الاجتماعية و الأخلاقية و الدينية في الطفولة المبكرة, دار الفكر ناشرون و موزعون- الأردن, ط2, 2009, ص 16.

**المراجع:**

**1**- إبراهيم الحسن, الهوية الثقافية الصحراوية **http://www./ Alarbio.com**

**2**-إبراهيم مذكور و آخرون, معجم العلوم الاجتماعية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1975.

**3**- جان فرنسوا دورتيه, معجم العلوم الإنسانية, ترجمة: جورج كتورة, كلمة و مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع- ابوظبي, ط1, 2009.

**4**- جمال مجدي حسنين, سوسيولوجيا المجتمع, دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005.

**5**- جوردن مارشال, موسوعة علم الاجتماع (المجلد الأول), ترجمة: محمد محمود الجوهري, المجلس الأعلى للثقافة و المشروع القومي للترجمة, 2000.

**6**- جيلالي بوبكر, الهوية الثقافية **http://almothaqaf.com/index.php/thaqafat/885787.**

**7html**- حنان عبد الحميد العناني, تنمية المفاهيم الاجتماعية و الأخلاقية و الدينية في الطفولة المبكرة, دار الفكر ناشرون و موزعون- الأردن, ط2, 2009.

**8**- حكيمة بولعشب, تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة

**9http://www.arathropos.com/**- سمير سعيد حجازي, معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس و الاجتماع و نظرية المعرفة (عربي- فرنسي), دار الكتب العلمية- بيروت, ط1, 2005.

**10**- سورة المائدة, الآية: 77.

**11**- عادل شيهب, الثقافة و الهوية-إشكالية المفاهيم و العلاقة **http://www.arathropos.com/**

**12**- عبد العلي الودغيري, اللغة والدين والهوية, مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 2000.

**13**-عبده الحلو, معجم المصطلحات الفلسفية (فرنسي-عربي), المركز العربي للبحوث و الإنماء- مكتبة لبنان (د.ت).

**14**- فاروق عبده و احمد عبد الفتاح الزكي, معجم مصطلحات التربية (لفظا و اصطلاحا), دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر- الإسكندرية, 2004.

**15**- محمد احمد بيومي, المجتمع و الثقافة و الشخصية (دراسة في علم الاجتماع الثقافي), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 1986.

**16**- محمد احمد بيومي, المشكلات الاجتماعية (دراسات نظرية و تطبيقية), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005.

**17**- محمد العربي ولد خليفة, المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية, ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. 2003.

**18**- محمد عوض الترتوري و أغادير عرفات جويحان, علم الإرهاب (الأسس الفكرية و النفسية و الاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب), دار الحامد- الأردن, 2006.

**19**- مجدي احمد محمد عبد الله, السلوك الاجتماعي و ديناميات (محاولة تفسيرية), دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية, 2005.

**20**- نصر الدين لعياضي, الهوية الوطنية و التلفزيون: عشر أطروحات لتطليق المسلمات, مجلة التواصل, عدد: 32, مديرية النشر- جامعة باجي مختار- عنابة, ديسمبر 2012.

**21-http://www.facebook.com/notes/ahmed-kefi/**